شيخ الإسلام ابن تيمية (١)

ليس في وسعي أن أحيط وصفاً بمواهب علامة الشرق الامام أحمد المعروف بابن تيمية الحراني الدمشقي ، فقد طبق الأرض بعصره علماً وإصلاحاً ، وملأ الكون صدعاً بالحق وجهاداً ، وسارت بعلومه الركبان ، وعطر أريج شمائله وأعماله الأرجاء .

في أرض دمشق غرست شجرة الاصلاح بيد ابن تيمية فأثمرت ونضجت ، ومن سمائها سطعت شمس السنة الغراء فأضاءت وعمّت ، وفي أجوائها علت صيحة الحق ففزعت جيوش البدع والأوهام ؛ وليس من غرضي أن أذكر كل ما قيل في ترجمة هذا النابغة الكبير ، فهو كما قال الذهبي ، أعظم من أن تصفه كلمي ، أو ينبه على شأوه قلمي ، فان سيرته وعلومه ، ومعارفه ومحنه ، وتنقلاته ، يحتمل ان توضع في مجلدين : وانما القصد أن نقتبس من نور خدمته العلمية ما ينير لنا طريق الحياة في سيرنا العلمي .

مولده ومنشؤه وتحصيله ومؤلفاته

قال العلامة الآلوسي صاحب جلاء العينين (ص ٤) : في تاريخ مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي ، وتاريخ الحافظ ابن حجر العسقلاني شارح البخاري ، وتاريخ الحافظ ابن كثير ، وتاريخ فوات الوفيات للكتبي ، وشذرات الذهب لابن العماد ، وتاريخ ابن الوردي ، وغيرهم : هو شيخ الاسلام ، وحافظ الأنام ، المجتهد في الأحكام ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله

(١) محاضرة ألقيت في قاعة المجمع العلمي ولم تنشر ، ثم نقحت وأضيف اليها صفحات في تاريخ هذا الامام العظيم ، رحمه الله . محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابن أبي القاسم بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي ، وفي تاريخ اربل ان جده سئل عن اسم (تيمية) فأجاب ان جده حج وكانت امرأته حاملاً فلما كان بتيماء - بلدة قرب تبوك - رأى جارية حسنة الوجه وقد خرجت من خباء ، فلما رجع وجد امرأته قد وضعت جارية فلما رفعوها اليه قال : يا تيمية ، يا تيمية ، يعني أنها تشبه التي رآها بتيماء ، فسمي بها انتهى . وفي فوات الوفيات وقال ابن النجار : ذكر لنا أن محمداً هذا (أي الجد الأعلى لابن تيمية) كانت أمه تسمى تيمية وكانت واعظة فنسب اليها وعرف بها اهـ . ولد بحران [1] يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة احدى وستين وستمائة . وقدم به والده وبأخويه عند استيلاء التتار على البلاد الى دمشق سنة سبع وستين وستمائة ، فأخذ الفقه والأصول عن والده . وسمع عن خلق كثيرين منهم الشيخ شمس الدين ، والشيخ زين الدين بن المنجا ، والمجد ابن عساكر ، وقرأ العربية على ابن عبد القوي ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله وفهمه ، وعني بالحديث وسمع الكتب الستة والمسند مرات ؛ وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه ، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب والجبر والمقابلة وغير ذلك من العلوم ، ونظر في الكلام والفلسفة وبرز في ذلك على أهله ، وردّ على رؤسائهم وأكابرهم ، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة ، وتضلع في علم الحديث وحفظه حتى قالوا : ان كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فهو ليس بحديث ، وأمده الله تعالى بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم ، وبطء النسيان ، حتى قال غير واحد انه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه ؛ وألف في أغلب العلوم التأليفات المديدة ، في التفسير والفقه والأصول . والحديث والكلام والردود على المبتدعة ، وله الفتاوى المفصلة ، وحل المسائل المعضلة ، وقد ذكر طائفة من مؤلفاته وعدّ

(١) حران : بلد قرب الرُها (أورفة) من أرض الجزيرة بين دجلة والفرات ، وهي من بلاد الأناضول .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

منها كتاب بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول أربع مجلدات ، وإثبات المعاد ، وكتاب ثبوت النبوات عقلاً ونقلاً ، وكتاب الرد على الحلولية والاتحادية ، وكتاب الدرة المضية في فتاوى ابن تيمية ، وكتاب اصلاح الراعي والرعية ، ثم قال الذهبي : وما أبعد ان تصانيفه الى الآن تبلغ خمسمائة مجلد اه وقال الحافظ الذهبي : انه نشأ في تصوُّن تام وعفاف ، وتأله وتعبد ، واقتصاد في الملبس والمأكل ، وكان يحضر المدارس والمحافل في صغره ، ويناظر ويفحم الكبار ، ويأتي بما يحار منه أعيان البلد في العلم ، فأفتى وله تسع عشرة سنة بل أقل ، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك الوقت ، وأكب على الاشتغال ، ومات والده وكان من كبار أئمة الحنابلة ، فخلفه في وظائفه وله احدى وعشرون سنة ، واشتهر أمره وبعد صيته في العالم ، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع من حفظه ، فكان يورد المجلس ولا يتلعثم وذلك بتؤدة وصوت جهوري فصيح ، وكان آية في الذكاء وسرعة الإدراك ، رأساً في معرفة الكتاب والسنة والاختلاف ، بحراً في النقليات ، فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاء ، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وكثرة تصانيف ، وقرأ وحصل وبرع في الحديث والفقه وتأهل للتدريس والفتوى وهو ابن سبع عشرة سنة ، وتقدم في علم التفسير والأصول ، وجمع علوم الاسلام أصولها وفروعها ودقيقها وجليلها ، (الى أن قال) وكان له باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين ، وقل أن يتكلم في مسألة الا ويذكر فيها أقوال المذاهب الأربعة .

ثناء الأئمة عليه

قال العلامة الشيخ مرعي الكرمي الحنبلي في كتابه (الكواكب الدرية) [1] الذي ألفه في مناقب الإمام ابن تيمية : قد أكثر أئمة الاسلام ، من الثناء على

(١) من «مجموع: الرد الوافر» وما معه من الرسائل طبع مصر سنة ١٣٢٩ هـ.

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الإمام، كالحافظ المزي وابن دقيق العيد وابي حيان النحوي والحافظ ابن سيد الناس والحافظ الزملكاني والحافظ الذهبي وغيرهم من أئمة العلماء .

وقال الحافظ المزي : ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه . وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه .

وقال القاضي ابو الفتح بن دقيق العيد : لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً كل العلوم بين عينيه يأخذ ما يريد ويدع ما يريد . وقلت له ما كنت أظن ان الله بقي يخلق مثلك ! وقال الشيخ ابراهيم الرّقي : ان تقي الدين يؤخذ عنه ويقلد في العلوم فان طال عمره ملأ الأرض علماً وهو على الحق، ولا بد من ان يعاديه الناس لأنه وارث علم النبوة، وقال قاضي القضاة ابن الحريري : ان لم يكن ابن تيمية شيخ الاسلام فمن هو ؟ . وقال فيه شيخ النحاة ابو حيان لما اجتمع به : ما رأت عيناي مثله، ثم مدحه أبو حيان على البديهة في المجلس وقال :

لما أتينا تقي الدين لاح لنا داعٍ الى الله فرداً ماله وزر
على محياه من سيما الأولى صحبوا خير البرية نور دونه القمر
حبر تسربل منه دهرنا حِبَراً بحر تقاذف من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية في نصر شرعتنا مقام سيد تيم اذ عصت مضر
وأظهر الحق اذ آثاره درست وأخمد الشرّ اذ طارت له شرر
كنا نحدث عن حبر يجيء فها أنت الامام الذي قد كان ينتظر

وقال الحافظ الزملكاني : لقد أعطي ابن تيمية اليد الطولى في حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب، والتقسيم والتبيين، وقد ألان الله له العلوم كما ألان لداود الحديد . كان اذا سئل عن فن من العلم ظن الرائي والسامع انه لا يعرف غير ذلك الفن . وحكم أن أحداً لا يعرفه مثله (الى ان قال) :

ماذا يقول الواصفون له وصفاته جلّت عن الحصر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

هو حجـة الله قاهرة هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية في الخلق ظاهرة أنوارها أربت على الفجر

وقال عماد الدين ابو العباس احمد بن ابراهيم الواسطي عنه : انموذج الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين ، الذين غابت عن القلوب سيرهم ، ونسيت الأمة حذوهم وسبيلهم ، فكان في دارس نهجهم سالكاً ، ولأعنة قواعدهم مالكاً :

وقال في ذيل الصفحة الرابعة من كتاب القول الجلي في ترجمة الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحنبلي : ومما وجد في كتابٍ كتبه قاضي القضاة ابو الحسن السبكي الى الحافظ الذهبي في الشيخ تقي الدين ما صورته : وأما قول سيدي في الشيخ فالمملوك متحقق كبر قدره ، وزخارة بحره ، وتوسعه في العلوم الشرعية والعقلية ، وفرط ذكائه واجتهاده ، وبلوغه في كل من ذلك المبلغ الذي يتجاوز الوصف ، والمملوك يقول ذلك دائماً ، وقدره في نفسي أكبر من ذلك وأجل ، مع ما جمع الله له من الورع والزهادة والديانة ونصرة الحق ، والقيام فيه لا لغرض سواه ، وجريه على سنن السلف ، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى ، وغرابة مثله في هذا الزمان بل من أزمان انتهى .

زهده وإيثاره

قال ابن فضل الله العمري كان يجيئه من المال في كلّ سنة ما لا يكاد يحصى ، فينفقه جميعه آلافاً ومئين لا يلبس منه درهماً بيده ، ولا ينفقه في حاجته ، بل كان اذا لم يقدر بعمد الى شيء من لباسه فيدفعه الى السائل ، وهذا مشهور عند الناس من حاله .

حكى من يوثق به قال : كنت يوماً جالساً بحضرة شيخ الاسلام ابن تيمية فجاء انسان فسلم عليه فرآه الشيخ محتاجاً الى ما يعتم به فنزع الشيخ عمامته من غير أن يسأله الرجل فقطعها نصفين واعتم بنصفها ودفع النصف الآخر لذلك الرجل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولم يحتشم للحاضرين عنده : وحدث من يوثق به ان الشيخ كان ماراً في بعض الأزقة فدعا له بعض الفقراء وعرف الشيخ حاجته ولم يكن مع الشيخ ما يعطيه ، فنزع ثوباً على جلده ودفعه اليه وقال بعه بما تيسر وأنفقه ، واعتذر اليه من كونه لم يحضر عنده شيء من النفقة اهـ .

شجاعة الامام وغيرته على الدين والوطن

أراد ملك الكرج أن يفتك بسكان دمشق من المسلمين ، ويسبي ذراريهم ونساءهم ، فبذل للسلطان غازان ـ وهو أول من أسلم من ملوك المغول ـ أموالاً طائلة على أن يمكنه منهم ، فلما اتصل الخبر بالامام قام من فوره وانتدب رجالاً من الوجوه والكبراء وذوي الأحلام الرجيحة واليك خلاصة ما جرى بإخبار من كان حاضراً ولا ينبئك مثل خبير :

قال في الكواكب الدرية : قال الشيخ كمال الدين بن النجا : كنت حاضراً مع الشيخ فجعل يحدث السلطان بقول الله ورسوله في العدل وغيره ، ويرفع صوته على السلطان ، ويقرب منه في أثناء حديثه . حتى لقد قرب أن تلاصق ركبته ركبة السلطان ، والسلطان مع ذلك مقبل عليه بكليته ، مصغ لما يقول ، شاخص اليه لا يعرض عنه وان السلطان مع شدة ما أوقع الله له في قلبه من المحبة والهيبة سأل من هذا الشيخ فاني لم أر مثله ولا أثبت قلباً منه ، ولا أوقع من حديثه في قلبي ، ولا رأيتني أعظم انقياداً لأحد منه ؟ فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل ، فقال الشيخ للترجمان قل لغازان : أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا ، فغزوتنا ، وأبوك وجدك كانا كافرين وما عملا الذي عملت : عاهدا فوفيا وأنت عاهدت فغدرت ، وقلت فما وفيت وجرت ، ثم خرج من بين يديه مكرماً معززاً . بذل نفسه في طلب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

حقن دماء المسلمين فبلغه الله تعالى ما أراده . وكان أيضاً سبباً لتخليص غالب أسارى المسلمين من أيديهم ، وردهم على أهليهم ، وحفظ حريمهم ، وكان يقول : لن يخاف الرجل غير الله الا لمرض في قلبه .

وأخبر قاضي القضاة ابو العباس انهم لما حضروا مجلس غازان قدم لهم طعام فأكلوا منه إلاّ ابن تيمية فقيل : لِمَ لَمْ تأكل؟ فقال : كيف آكل من طعامك وكله مما نهبتم من أغنام الناس طبختموه بما قطعتم من أشجار الناس . ثم ان غازان طلب منه الدعاء فقال في دعائه : اللهم ان كنت تعلم انه انما قاتل لتكون كلمة الله هي العليا وجاهد في سبيلك أن تؤيده وتنصره ، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر أن تفعل به وتصنع . وقد ذكر الكتبي من شجاعة الامام انه شكا اليه انسان من قطلوبك الكبير وظلمه له وكان فيه جبروت وأخذ أموال الناس واغتصابها ـ وحكاياته في ذلك مشهورة ـ فدخل عليه الشيخ وتكلم معه فقال له قطلوبك : انا كنت أريد أن أجيء اليك لأنك عالم زاهد . يعني يستهزئ به ، فقال له : موسى كان خيراً مني وفرعون كان شراً منك . وكان موسى يجيء الى باب فرعون كل يوم ثلاث مرات ويعرض عليه الايمان .

ومن مساعيه المشكورة في خدمة أبناء الملل السماوية سعيه في اطلاق أسرى المسلمين والمسيحيين واليهود على السواء ، وإصراره على ذلك ، ولم يرض باطلاق أسارى المسلمين فقط ؛ وانما فعل ذلك عملاً بقواعد دينه العام ، الذى يوجب المساواة في الحقوق والأحكام ، بين جميع من يظلهم سلطان الاسلام ، واليك شذرة مما كتبه في الرسالة القبرصية خطاباً لسرجوان ملك قبرص ، قال[1] :

ونحن قوم نحب الخير لكل أحد ، ونحب أن يجمع الله لكم خير الدنيا

(١) (ص ١٢) والرسالة مطبوعة بمطبعة المؤيد بمصر سنة ١٣١٩ هجرية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والآخرة ، فان أعظم ما عبد الله به نصيحة خلقه ، وبذلك بعث الله الأنبياء والمرسلين ، ولا نصيحة أعظم من النصيحة فيما بين العبد وبين ربه ، فانه لا بد للعبد من لقاء الله ، ولا بد أن الله يحاسب عبده كما قال تعالى : « فلنسألنّ الذين أرسل اليهم ولنسألنّ المرسلين » (الى أن قال) :

وقد عرف النصارى كلهم أني لما خاطبت التتار في إطلاق الأسرى ، وأطلقهم غازان وقطلوشاه ، وخاطبت مولاي فيهم فسمح باطلاق المسلمين قال لي : لكن معنا نصاري أخذناهم من القدس ، فهؤلاء لا يطلقون ، فقلت له : بل جميع من معك من اليهود والنصارى الذين هم أهل ذمتنا فانا نفتكهم ولا ندع أسيراً لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة ، وأطلقنا من النصارى من شاء الله .

فهذا عملنا وإحساننا والجزاء على الله .

وكذلك السبي الذي بين أيدينا من النصارى يعلم كل أحد احساننا ورحمتنا ورأفتنا بهم كما أوصانا خاتم النبيين اه .

ومن شجاعته ما حكاه في الكواكب قال : لما وشوا به الى السلطان الأعظم الملك الناصر لدين الله وأحضره بين يديه قال من جملة كلامه انني أخبرت أنك قد أطاعك الناس ، وان في نفسك أخذ الملك ، فلم يكترث به ، بل قال له بنفس مطمئنة وقلب ثابت ، وصوت عال سمعه كثير ممن حضر : أنا أفعل ذلك ؟ والله ان ملكك وملك المغل لا يساوي عندي فلساً ، فتبسم السلطان لذلك ، وأجابه في مقابلته بما أوقع الله له في قلبه من الهيبة المظيمة : إنك والله لصادق وان الذي وشى بك اليّ لكاذب ، واستقر له في قلبه من المحبة الدينية مالولاه لكان قد فتك به منذ دهر طويل من كثرة ما يلقى اليه في حقه من أقاويل الزور والبهتان ، ممن ظاهر حاله العدالة ، وباطنه مشحون بالفسق والجهالة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

محن ابن تيمية : ونبذة من عقيدته الحموية

قال العلامة الشيخ مرعي في الكواكب [1] : قل من يسلم من أهل الفضل والدين في هذه الدنيا بلا محنة وابتلاء وخوض فيه لأنه لم يداهن الناس ويصانعهم ، ولذا قل صديقه على حدّ قوله (ما ترك الحق من صديق لعمر) وقال سفيان الثوري : اذا رأيت الرجل يثني عليه جيرانه فاعلم انه مداهن .

(قال) وما وقع من المحنة للأئمة كأبي حنيفة ومالك والشافعي واحمد والبخاري مشهور كما بينته في كتابنا تنوير بصائر المقلدين في مناقب الأئمة المجتهدين (ثم قال) هذا وشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله امتحن بمحن ، وخاض فيه أقوام ، ونسبوه للبدع والتجسيم وهو من ذلك بريء . فأول محنة كما نقلد الثقات في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وستمائة بسبب عقيدته الحموية الكبرى ، وهي جواب سؤال ورد من حماة فوضعها ما بين الظهر والعصر في ست كراريس بقطع نصف البلدي ، فجرى له بسبب تأليفها أمور ومحن لترجيحه مذهب السلف على مذهب المتكلمين وتشنيعه عليهم (فمن بعض قوله في مقدمتها) ما قاله الله سبحانه ورسوله ﷺ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وفي غيره . ومن المحال أن يكون خير أمة وأفضل قرونها قصروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه ، ثم من المحال أيضاً أن تكون القرون الفاضلة قرن الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين . قال : ظنوا ان طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك ، بمنزلة الأميين . وان طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات .

(١) ص ١٦٧ من « المجموع المطبوع » .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال : فهذا الظن الفاسد أوجبه اعتقاد انهم كانوا أميين بمنزلة الصالحين من العامة لم يتحرّوا في حقائق العلم بالله ، ولم يتفطنوا لدقيق العلم الإلهي ، وان الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله كيف يكون هؤلاء المتأخرون لا سيما والاشارة بالخلف الى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم ، وغلظ عن معرفة الله حجابهم ، وأخبر الواقف على نهاية اقدامهم ، بما انتهى اليه من مرامهم ، يقول الامام فخر الدين الرازي :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلاّ واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سنّ نادم

وأقروا على أنفسهم بما قالوه متمثلين به ، ومنشئين له فيما صنفوه من كتبهم ، مثل قول بعض رؤسائهم :

نهاية اقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

ويقول آخر منهم : لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلاً . ولا تروي غليلاً . ورأيت اقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الاثبات : اليه يصعد الكلم الطيب : الرحمن على العرش استوى » واقرأ في النفي : ليس كمثله شيء » ولا يحيطون به علماً » ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي . ويقول الآخر منهم لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الاسلام وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن ان لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان وها انا (ذا) أموت على عقيدة أمي اه .

مناظرته رحمه الله

كان شيخ الاسلام يرجح في أمر المعتقد مذهب السلف الصالح ويعض عليه بالنواجذ ، ويحاول ارجاع الناس اليه بكل الوسائل ، ويرى رأي امام دار الهجرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مالك بن انس من انه لا يصلح آخر هـذه الأمة إلاّ ما أصلح أولها ، وهو رأي كل حكيم عليم بداء الأمة ودوائها قديماً وحديثاً وكان شديد الانتصار لمذهب السلف والدفاع عنه بالحجج العقلية والنقلية ، وقد عقدت له عدة مناظرات في مصر والشام ؛ كان معظمها يحوم حول هذه القضية ؛ وقد كان سئل ان يكتب المناظرات الثلاث التي جرت له في الشام فكتبها . واني أنقل منهـا المناظرة الثانية من كتاب (غاية الأماني) للعلامة أبي المعالي السلامي لتكون مثالاً من مناظراته قال : أما بعد فقد سئلت غير مرة ان أكتب ما حضرني ذكره مما جرى في المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة في أمر الاعتقاد بمقتضى ما ورد من كتاب ذي السلطان من الديار المصرية الى نائبه أمير البلاد ، لمّا سعى اليه قوم من الجهمية والاتحادية والرافضة وغيرهم من ذوي الأحقاد ، فأمر الأمير بجمع القضاة الأربعة قضاة المذاهب الأربعة . وغيرهم من نوابهم والمفتين والمشايخ ممن له حرمة وبه اعتداد ، وهم لا يدرون ما قصد بجمعهم في هذا الميعاد ، وذلك يوم الاثنين ثامن رجب المبارك عام خمس وسبعمائة . فقال لي هذا المجلس عقد لك . فقد ورد مرسوم السلطان بأن أسألك عن اعتقادك ، وعما كتبت به الى الديار المصرية من الكتب التي تدعو بها الناس الى الاعتقاد ، وأظنه قال : وأن أجمع القضاة والفقهاء يتباحثون في ذلك ، فقلت : أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عن من هو أكبر مني بل يؤخذ عن الله ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة ، فما كان في القرآن وجب اعتقاده وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم ، وأما الكتب فما كتبت الى أحد ابتداء أدعو به الى شيء من ذلك ولكني كتبت أجوبة أجبت بها من سألني من أهل الديار المصرية وغيرهم وكان قد بلغني انه زوّر عليّ كتاب الى الأمير ركن الدين الجاشنكير أستاذ ذي السلطان يتضمن ذكر عقيدة محرفة ولم أعلم بحقيقته لكن علمت انه مكذوب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكان يرد عليّ من مصر وغيرها من يسألني عن مسائل في الاعتقاد فأجبته بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة فقال : نريد أن تكتب لنا عقيدتك فقلت اكتبوا فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب فكتب له جمل الاعتقاد في أبواب الصفات والقدر ومسائل الايمان والوعيد والامامة والتفضيل . وهو ان اعتقاد أهل السنة والجماعة الايمان بما وصف الله به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل ، وان القرآن كلام الله غير مخلوق ، منه بدا واليه يعود ، والايمان بأن الله خالق كل شيء من أفعال العباد وغيرها ، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه أمر بالطاعة وأحبها ورضيها ، ونهى عن المعصية وكرهها ، والعبد فاعل حقيقة ، والله خالق فعله ، وان الايمان والدين قول ، وعمل ، يزيد وينقص ، وأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بالذنوب ، ولا نخلد في النار من أهل الايمان أحداً ، وان الخلفاء بعد رسول الله ﷺ ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي (ثم قلت) للأمير والحاضرين أنا أعلم أن أقواماً يكذبون عليّ كما قد كذبوا غير مرة ؛ وإن أمليت الاعتقاد من حفظي ربما يقولون كتم بعضه أو داهن أو داري فأنا أحضر عقيدة مكتوبة من نحو سبع سنين قبل أن يجيء التتر الى الشام ، وقلت قبل حضورها كلاماً قد بعد عهدي به وغضبت غضباً شديداً لكني أذكر اني قلت انا اعلم ان اقواماً كذبوا عليّ وقالوا للسلطان شيئاً وتكلمت بكلام احتجت اليه . مثل ان قلت من قام بالاسلام أوقات الحاجة غيري ؟ ومن الذي أوضح دلائله وبينه وجاهد أعداءه وأقامه لما مال ، حين تخلى عنه كل أحد ، ولا أحد ينطق بحجته ، ولا أحد يجاهد عنه ، وقمت مظهراً الحجة ، مجاهداً عنه مرغباً فيه ، فاذا (كان) هؤلاء يطمعون في الكلام فيّ . فكيف يصنعون بغيري ، ولو أن يهودياً طلب من السلطان الانصاف لوجب عليه ان ينصفه ، وأنا قد اعفو عن حقي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد لا اعفو بل أطلب الانصاف منه وان يحضر هؤلاء الذين يكذبون ليكافأوا على افترائهم ، وقلت كلاماً أطول من هذا الجنس لكن بعد عهدي به .

فأشار الأمير الى كاتب الدَّرج محيي الدين أن يكتب في ذلك وقلت أيضاً : كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه : ثم قرئت العقيدة في الجلسة فاعترض بعضهم على مسائل منها ، فأجاب الشيخ عنها . وكتبت هذه المناظرة الأولى بنحو ثمان صفحات ، ثم قال شيخ الاسلام :

فصل

فلما كان المجلس الثاني يوم الجمعة في اثني عشر رجب ، وقد أحضروا أكبر شيوخهم ممن لم يكن حاضراً ذلك المجلس ، وأحضروا معهم زيادة : (صفي الدين الهندي) وقالوا : هذا أفضل الجماعة وشيخهم في علم الكلام ، وبحثوا فيما بينهم ، واتفقوا وتعاطوا وحضروا بقوة واستعداد للمخاطب الذي هو المسؤول والمجيب والمناظر ؛ فلما اجتمعنا وقد أحضرت ما كتبته من الجواب عن أسئلتهم المتقدمة الذي طلبوا تأخيره الى اليوم حمدت الله بخطبة الحاجة خطبة ابن مسعود (رضي الله عنه) (ثم قلت) ان الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف ونهانا عن الفرقة والاختلاف وقال لنا في القرآن : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » (وقال) : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » وقال : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » ربنا واحد ، وكتابنا واحد ، ونبينا واحد ، وأصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف ، وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين ، وهو متفق عليه بين السلف ، فإن وافق الجماعة فالحمد لله ، والا فمن خالفني بعد ذلك كشفت الأسرار ، وهتكت الأستار ، وبينت المذاهب الفاسدة التي أفسدت الملل والدول ، وأنا أذهب الى سلطان الوقت على البريد ، وأعرفه من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس فان للسلم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كلاماً ، وللحرب كلاما (وقلت) : لا شك ان الناس يتنازعون يقول هذا أنا حنبلي ، ويقول هذا أنا اشعري ، ويجري بينهم تفرق وفتن واختلاف على أمور لا يعرفون حقيقتها ، وانا قد أحضرت ما بيّن اتفاق المذاهب فيما ذكرته ، وأحضرت كتاب تبيين كذب المفتري [1] . فيما ينسب الى الشيخ ابي الحسن الأشعري تأليف الحافظ ابي القاسم بن عساكر (رحمه الله) (وقلت) لم يصنف في أخبار الأشعري المحمودة كتاب مثل هذا وقد ذكر فيه لفظه الذي ذكره في كتابه الإبانة فلما انتهيت الى ذكر المعتزلة سأل الأمير عن معنى المعتزلة . فقلت : كان الناس في قديم الزمان قد اختلفوا في الفاسق الملي وهو أوّل اختلاف حدث في الملة : هل هو كافر أو مؤمن فقالت الخوارج انه كافر ، وقالت الجماعة انه مؤمن ، وقالت طائفة تقول هو فاسق لا مؤمن ولا كافر ، تنزله منزلة بين المنزلتين وخلدوه في النار ، واعتزلوا حلقة الحسن البصري وأصحابه (رحمه الله تعالى) فسموا معتزلة (وقال الشيخ الكبير) بجبته ورداته : ليس كما قلت ، ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون مسألة الكلام وسمي المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم في ذلك ، وكان أول من قالها عمرو بن عبيد ، ثم خلف بعد موته عطاء بن واصل ، وبعد أن ردّ الامام عليه خطأه قال (قلت) الناس اختلفوا في مسألة الكلام في خلافة المأمون وبعدها في أواخر المائة الثانية ، (وأما المعتزلة) فقد كانوا قبل ذلك بكثير من زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصري في أوائل المائة الثانية . ولم يكن أولئك قد تكلموا في مسألة الكلام ولا تنازعوا فيها ؛ وانما أول بدعتهم تكلمهم في مسائل الأسماء والأحكام والوعيد (فقال) هذا ذكره الشهرستاني في الملل والنحل فقلت : الشهرستاني ذكره في اسم المتكلمين لم سموا متكلمين ، لم يذكره في اسم المعتزلة ، والأمير انما سأل عن اسم

(١) عُني بنشره القدسي بدمشق سنة ١٣٤٧ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

المعتزلة ؛ وأنكر الحاضرون عليه ، وقالوا غلطت ، وقلت في ضمن كلام : أنا أعلم كل بدعة حدثت في الاسلام وأول من ابتدعها وما كان سبب ابتداعها ؛ وأيضاً فما ذكره الشهرستاني ليس بصحيح في اسم المتكلمين . فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل منازعتهم في مسألة الكلام ، وكانوا يقولون عن واصل بن عطاء انه متكلم ويصفونه بالكلام ولم يكن الناس اختلفوا في مسألة الكلام وقلت انا وغيري انما هو واصل بن عطاء أي لا عطاء بن واصل كما ذكره المعترض (قلت) : وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد وانما كان قرينه وقد روى ان واصلاً تكلم مرة بكلام ، فقال عمرو بن عبيد : لو بعث نبياً ما كان يتكلم بأحسن من هذا ، وفصاحته مشهورة حتى قيل انه ألثغ وكان يحترز عن الراء حتى قيل له أمر الأمير ان يحفر بئر فقال أوعز القائد أن يقلب قليب .

ولما انتهى الكلام الى ما قاله الأشعري قال الشيخ المقدم فيهم لا ريب ان الامام احمد امام عظيم القدر من أكبر أئمة الاسلام لكن قد انتسب اليه أناس ابتدعوا أشياء (فقلت) أما هذا فحق وليس هذا من خصائص احمد بل ما من إمام إلا وقد انتسب اليه أقوام هو منهم بريء وقد انتسب الى مالك أناس مالك بريء منهم ، وانتسب الى الشافعي أناس هو بريء منهم ، وانتسب الى ابي حنيفة أناس هو بريء منهم ، وقد انتسب الى موسى عليه السلام أناس هو بريء منهم ، وانتسب الى عيسى (عليه السلام) أناس هو منهم بريء ، وقد انتسب الى علي بن ابي طالب أناس هو بريء منهم ، ونبينا ﷺ قد انتسب اليه من القرامطة والباطنية وغيرهم من أصناف الملحدة والمنافقين من هو بريء منهم (قال) وذكر في كلامه انه انتسب الى احمد من الحشوية والمشبهة ونحو هذا الكلام (فقلت) المشبهة والمجسمة في غير أصحاب الامام احمد اكثر منهم فيهم : وبعد أن عدّ اصنافهم من غير الحنابلة (قال) وتكلمت على لفظ الحشوية ما أدري جواباً عن سؤال الأمير او غيره او غير جواب . فقلت هذا اللفظ اول من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ابتدعه المعتزلة فانهم يسمون الجماعة والسواد الأعظم (الحشو) (قال) وحشو الناس هم عموم الناس وجمهورهم . وهم غير الأعيان المتميزين يقولون هذا من حشو الناس كما يقال هذا من جمهورهم . وأول من تكلم بهذا عمرو بن عبيد قال اي عمرو وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنه حشوياً .

(وقلت) لا ادري في المجلس الأول او الثاني : اول من قال ان الله جسم هشام بن الحكم الرافضي (قلت) لهذا الشيخ من في اصحاب الامام احمد حشوي بالمعنى الذي تريده : الأثرم ، ابو داود ، المروزي ، الخلال ، ابو بكر ، عبد العزيز ، ابو الحسن التميمي ، ابن حامد ، القاضي ابو يعلى ، ابو الخطاب ، ابن عقيل ، ورفعت صوتي وقلت صمهم قل لي مَن هم ؟ مَن هم ؟ ؟ أبكذب ابن الخطيب وافترائه على الناس في مذاهبهم تبطل الشريعة وتندرس معالم الدين ، كما نقل هو وغيره عنهم انهم يقولون ان القرآن القديم هو أصوات القارئين ومداد الكاتبين وان الصوت والمداد قديم أزلي ؟

من قال هذا ؟ وفي أي كتاب وجد هذا عنهم ؟ قل لي ، وكما نقل عنهم ان الله لا يُرى في الآخرة باللزوم الذي ادعاه والمقدمة التي نقلها . وأخذت اذكر ما يستحقه هذا الشيخ من انه كبير الجماعة وشيخهم وان فيه من العقل والدين ما يستحق ان يعامل بموجبه ، وأمرت بقراءة العقيدة جميعها عليه فانه لم يكن حاضراً في المجلس الأول وانما احضروه في الثاني انتصاراً . وحدثني الثقة عنه بعد خروجه من المجلس انه اجتمع به وقال له اخبرني عن هذا المجلس ، فقال : ما لفلان ذنب ولا لي : فان الأمير سأل عن شيء فأجابه عنه . فظننته سأل عن شيء آخر . وقال قلت انتم ما لكم على الرجل اعتراض فانه نصر ترك التأويل ، وانتم تنصرون قول التأويل وهما قولان للأشعري . وقال : انا اختار قول ترك التأويل وأخرج وصيته التي اوصى بها : وفيها : قولي ترك التأويل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(قال الحاكي له) فقلت له بلغني عنك انك قلت في آخر المجلس لما اشهد الجماعة على انفسهم بالموافقة : لا تكتبوا عني نفياً ولا اثباتاً فلم ذاك ؟ قال : لوجهين (احدهما) اني لم احضر قراءة جميع العقيدة في المجلس الأول . والثاني لأن أصحابي طلبوني لينتصروا بي فما كان يليق ان اظهر مخالفتهم فسكت عن الطائفتين اه باختصار قليل .

اعتقال شيخ الاسلام في مصر والشام وسببه

نقل صاحب الكواكب الدرية عن الشيخ علم الدين انه في شهر ربيع الأول سنة ٦٩٨ وقع بدمشق محنة للشيخ الإمام تقي الدين بن تيمية . وكان الشروع فيها من أول الشهر ، وكان سببها ترجيحه مذهب السلف في الصفات على مذهب المتكلمين ، وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجمين ، ثم عقدت له عدة مجالس للمناظرة في مصر والشام ، وحبس في القطرين ، وقد ذكرنا في الفصل السابق احدى تلك المناظرات . ونقل صاحب جلاء العينين عن الحافظ ابن كثير قال وأكثر ما نالوا منه (أي اعداؤه) الحبس مع انه لم ينقطع في بحث لا بمصر ولا بالشام ، ولم يتوجه لهم عليه ما يشين وانما أخذوه وحبسوه بالجاه ، كما سيأتي اه .

قيل ومن جملة أسباب حبسه خوفهم انه ربما يدعي ويطلب الإمارة فلقي أعداؤه عليه طريقاً من ذلك ، فحسنوا للأمراء حبسه لسد تلك المسالك اه .

حاله في معتقله ، ووفاته في قلعة دمشق

ذكر صاحب الكواكب الدرية : ان الشيخ لما سجن في مصر بحبس القضاة بحارة الديلم صار الحبس بالاشتغال بالعلم والدين خيراً من كثير من الزوايا والربط والخوانق والمدارس . وصار خلق من المحابيس اذا أطلقوا يختارون الاقامة عنده . وكثر المترددون اليه حتى صار السجن يمتلئ منهم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولما ورد أمر بسجنه بقلعة دمشق أظهر السرور بذلك وقال اني كنت منتظراً ذلك وهذا فيه خير عظيم . ونقل عنه وارث علومه العلامة ابن قيم الجوزية الذي حبس بقلعة دمشق معه في كتابه (الكلم الطيب والعمل الصالح) انه قال : ما يصنع أعدائي بي ، أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحت فهي معي لا تفارقني . انا حبسي خلوة ، وقتلي شهادة ، واخراجي من بلدي سياحة ؛ وكان يقول في مجلسه في القلعة : لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة . أو قال : ما جزيتهم على ما تسببوا الىّ فيه من الخير ونحو هذا . وكان يقول في سجوده وهو محبوس اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ماشاء الله وقال لي مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه . والمأسور من أسره هواه . ولما أدخل ووصل الى القلعة وصار داخل سورها نظر اليه وقال : «فضرب بينهم بسور له باب . باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب» وعلم الله ما رأيت أحداً اطيب عيشاً منه قط . مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها . ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف . وهو مع ذلك أطيب الناس عيشاً ، وأشرحهم صدراً ، وأقواهم قلباً ، وأسرهم نفساً ، تلوح نضرة النعيم على وجهه ؛ وكنا اذا اشتد بنا الخوف وساءت بنا الظنون ، وضاقت بنا الأرض ، اتيناه فما هو إلا ان نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله ، فينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة . فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم ابوابها في دار العمل ، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة اليها ، وكان بعض العارفين يقول . لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف اهـ وكان دخوله قلعة دمشق سادس شعبان سنة ٧٢٦ وما زال مقيماً في قاعتها الى أن كانت وفاته ليلة الاثنين لعشرين من ذي القعدة سنة ٧٢٨ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاحتفال بالصلاة على شيخ الاسلام ودفنه

دخلت جنازة الإمام جامع بني أمية . وصلي عليه عقب صلاة الظهر ولم يبق في دمشق من يستطيع المجيء للصلاة عليه إلا حضر لذلك حتى غلقت الأسواق بدمشق ، وعطلت معايشها حينئذ ، وحصل للناس بمصابه امر شغلهم عن غالب امورهم واسبابهم . وخرج الأمراء والرؤساء والعلماء ، والفقهاء ، والأتراك والأجناد ، والرجال والنساء ، والصبيان من الخواص والعوام ، قال بعض من حضر ولم يتخلف فيما اعلم الا ثلاثة أنفس كانوا قد اشتهروا بمعاندته فاختفوا من الناس خوفاً على انفسهم بحيث غلب على ظنهم انهم متى خرجوا رجمهم الناس .

واتفق جماعة ممن حضر وشاهد الناس والمصلين عليه انهم يزيدون على نحو من خمسمائة الف وحضرها نساء كثير بحيث حزرن بخمسة عشر الفاً . قال اهل التاريخ لم يسمع بجنازة تمثل هذا الجمع الا جنازة الامام احمد بن حنبل . قال الدارقطني : سمعت ابا سهل بن زياد القطان يقول : سمعت عبد الله بن احمد ابن حنبل يقول سمعت ابي يقول : قولوا لأهل البدع : بيننا وبينكم الجنائز . قال ابو عبد الرحمن السلمي انه حزر الحزارون المصلين على جنازة احمد ، فبلغ العدد بحزرهم الف الف وسبعمائة الف سوى الذين كانوا في السفن . ثم حملت جنازة الشيخ الى قبره في مقبرة الصوفية فوضع . وقد جاء الملك شمس الدين الوزير ولم يكن حاضراً قبل ذلك فصلى عليه أيضاً ومن معه من الأمراء والكبراء ومن شاء الله من الناس . ثم دفن وقت العصر الى جانب أخيه الشيخ جمال الاسلام شرف الدين . انتهى من الكواكب باختصار .

خلاصة أعماله رحمه الله

ننقل عن فوات الوفيات [1] ، خلاصة أعماله التي طار بها ذكره في البلاد ، وهو قد نقلها من كتاب (تذكرة الحفاظ) للحافظ ابن عبد الهادي . وقد آثرت

(١) (ج ١ ص ٤٠) طبع مصر سنة ١٢٩٩ هـ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

نقلها لتكون فهرساً لأعمال شيخ الاسلام من سنة ٦٩٨ الى سنة ٧٢٨ وهي سنة وفاته .

قال ابن عبد الهادي قلت : أملى شيخنا المسألة المعروفة بالحموية سنة ٩٨ في قعدة بين الظهر والعصر وهو جواب سؤال ورد من حماة في الصفات ، وجرى له بسبب ذلك محنة ، ونصره الله وأذل أعداءه ، وما حصل له بعد ذلك الى حين وفاته من الأمور والمحن والتنقلات يحتاج الى عدة مجلدات ، وذلك كقيامه في نوبة غازان سنة ٦٩٩ وقيامه باعباء الأمر بنفسه ، واجتماعه هو بنائبه قطلوشاه وبولاي ، واقدامه وجرأته على المغول ، وعظيم جهاده ، وفعله الخير ، من انفاق الأموال ، واطعام الطعام ، ودفن الموتى ؛ ثم توجهه بعد ذلك بعام الى الديار المصرية ، وسوقه على البريد اليها في جمعة لما قدم التتار الى أطراف البلاد ، واشتد الأمر بالبلاد الشامية . واجتماعه بأركان الدولة واستصراخه بهم ، وحضهم على الجهاد ، واخباره لهم بما أعدّ الله للمجاهدين من الثواب ، وابدائهم له العذر في رجوعهم ، وتعظيمهم له ، وتردد الأعيان الى زيارته ، واجتماع ابن دقيق العيد به ، وسماعه كلامه ، وثنائه عليه الثناء العظيم . ثم توجهه بعد أيام الى دمشق واشتغاله بالاهتمام لجهاد التتار ، وتحريضه الأمراء على ذلك الى ورود الخبر بانصرافهم ، وقيامه في وقعة شقحب المشهورة سنة ٧٠٢ واجتماعه بالخليفة والسلطان وأرباب الحل والعقد وأعيان الأمراء ، وتحريضه لهم على الجهاد ، وموعظته لهم ، وما ظهر في هذه الوقعة من كراماته واجابة دعائه ، وعظيم جهاده ، وقوة ايمانه ، وشدة نصحه للإسلام ، وفرط شجاعته ؛ ثم توجه بعد ذلك في آخر سنة أربع لقتال الكسروانيين وجهادهم واستئصال شأفتهم ، ثم مناظرته للمخالفين سنة (٥) في المجالس التي عقدت له بحضرة نائب السلطنة الأفرم ، وظهوره عليهم بالحجة والبيان ، ورجوعهم الى قوله طائعين ومكرهين ، ثم توجهه بعد ذلك في السنة المذكورة الى الديار المصرية في صحبة قاضي الشافعية ، وعقد له

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مجلس حين وصوله بحضور القضاة وأكابر الدولة ، ثم حبسه بالجب بقلعة الجبل ومعه اخواه سنة ونصفاً ، ثم خروجه بعد ذلك وعقد مجلس له لخصومتهم ، وظهوره عليهم ، ثم اقرائه للعلم وبثه ونشره ؛ ثم عقد مجلس له في شهر شوال سنة (٧) لكلامه في الاتحادية وطعنه (عليهم) ، ثم الأمر بتسفيره الى الشام على البريد؛ ثم الأمر بردّه من مرحلة وسجنه بحبس القضاة سنة ونصفاً ، وتعليمه أهل الحبس ما يحتاجون اليه من أمور الدين ، ثم اخراجه منه وتوجهه الى الاسكندرية وجعله في برج حبس فيه ثمانية أشهر يدخل اليه من شاء ، ثم توجهه الى مصر واجتماعه بالسلطان في مجلس حفل فيه القضاة وأعيان الأمراء واكرامه له اكراماً عظيماً ، ومشاورته له في قتل بعض أعدائه وامتناع الشيخ من ذلك ، وجعله كلّ من آذاه في حلّ ، ثم سكناه بالقاهرة وعوده الى نشر العلوم ونفع الخلق ، وما جرى بعد ذلك من قضية البكري وغيرها ، ثم توجهه بعد ذلك الى الشام صحبة الجيش المنصور قاصداً العراق بعد غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع ، وتوجهه في طريقه الى بيت المقدس ، ثم ملازمته بعد ذلك بدمشق لنشر العلوم وتصنيف الكتب وإفتاء الخلق ، الى أن تكلم في مسألة الحَلِف بالطلاق فأشار عليه بعض القضاة بترك الافتاء بها في سنة ثمان عشرة ، فقبل اشارته ، ثم ورد كتاب السلطان بعد أيام بالمنع من الفتوى فيها ؛ ثم عاد الشيخ الى الافتاء بها وقال لا يسعني كتمان العلم ، وبقي كذلك مدة الى أن حبسوه بالقلعة خمسة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم أخرج ورجع الى عادته من الاشتغال والتعليم ؛ ولم يزل كذلك الى أن ظفروا له بجواب يتعلق بمسألة شد الرحال الى قبور الأنبياء والصالحين كان قد أجاب به من نحو عشرين سنة فشنعوا عليه بسبب ذلك ، وكبرت القضية وورد مرسوم السلطان في شعبان من سنة ست وعشرين بجعله في القلعة ، فأخليت له قاعة حسنة وأجري اليها الماء ، وأقام فيها ومعه أخوه يخدمه ، وأقبل في هذه المدة على العبادة والتلاوة وتصنيف الكتب والرد على المخالفين ، وكتب على تفسير

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

القرآن العظيم جملة كبيرة تشتمل على نفائس جليلة ، ونكت دقيقة ، ومعان لطيفة ، وأوضح مواضع كثيرة التبست على خلق من المفسرين ، وكتب في المسألة التي حبس بسببها مجلدات عديدة ، وظهر بعض ما كتبه واشتهر ، وآل الأمر الى أن منع من الكتابة والمطالعة ، وأخرجوا ما عنده من الكتب ، ولم يتركوا دواة ولا قلماً ولا ورقة ، وكتب عقيب ذلك بفحم يقول: ان اخراج الكتب من عنده من أعظم النقم ، وبقي أشهراً على ذلك ، وأقبل على التلاوة والعبادة والتهجد حتى أتاه اليقين .

بعض تلاميذ شيخ الاسلام الأعلام

ذكر صاحب جلاء العينين تراجم طائفة من تلاميذ شيخ الاسلام الأعلام ، الذين كانوا من بعده من أشهر رجال الإسلام ، بما خلفوا من الآثار ، التي طار ذكرها في الأمصار ، وانتفع بها أبناء الأعصار (فمنهم) أشهر تلاميذه ، ووارث علومه ، العالم الرباني ، شيخ الاسلام الثاني ، شمس الدين محمد بن قيم الجوزية ، صاحب الآثار الكثيرة المحررة ، الذي حبس مع الشيخ في قلعة دمشق ولم يفرج عنه الا بعد موت الشيخ . وقد قال عنه القاضي برهان الدين الزرعي : ماتحت أديم السماء أوسع علماً منه .

(ومنهم) الإمام الحافظ مؤرخ الاسلام شمس الدين ابو عبد الله محمد الذهبي صاحب ميزان الاعتدال في نقد الرجال وغيره . قال عنه العلامة الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى : كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ، ثم أخذ يخبر عنها اخبار من حضرها .

(ومنهم) الحافظ الكبير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي ، قال عنه ابن حبيب : انتهت اليه رئاسة العلم في التاريخ والحديث والتفسير ، ومن تصانيفه التاريخ المسمى البداية والنهاية . وطبقات الشافعية وغيرهما .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(ومنهم) الحافظ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي المقدسي ؛ عده الذهبي في طبقات الحفاظ ، وقد عدّ له ابن رجب في طبقاته ما يزيد على سبعين مصنفاً وتوفي وعمره أربعون سنة أو اقل .

(ومنهم) قاضي القضاة شرف الدين ابو العباس احمد بن الحسين المشهور بقاضي الجبل . قرأ على الشيخ تقي الدين ابن تيمية ـ عدة تصنيفات في علوم شتى ، وأذن له في الافتاء في شبيبته قال الذهبي فيه : هو مفتي الفرق ، سيف المناظرين ؛ وبالغ ابن رافع وابن حبيب في مدحه وله اختيارات في المذهب ، ومن شعره اللطيف قوله :

الصالحية جنة والصالحون بها أقاموا
فعلى الديار وأهلها مني التحية والسلام

(ومنهم) زين الدين عمر الشهير بابن الوردي . له تصانيف في النحو والأدب والتصوف والتاريخ . وقد أطنب في ترجمة شيخ الاسلام في تاريخه . ومن نظمه :

سبحان من سخر لي حاسدي يحدث لي في غيبتي ذكرا
لا أكره الغيبة من حاسد يفيدني الشهرة والأجرا

(ومنهم) زين الدين ابو حفص عمر الحراني . ولي نيابة الحكم وقال لم أقض قضية الا وأعددت لها الجواب بين يدي الله تعالى .

(ومنهم) شمس الدين ابو عبد الله محمد بن مفلح : قال أبو البقا السبكي : ما رأت عيناي أفقه منه . وقال ابن القيم : ما تحت قبة الفلك أعلم بمذهب الإمام أحمد من ابن مفلح . وقال ابن كثير : وله مصنفات كثيرة منها على المقنع نحو ثلاثين مجلداً وعلى المنتقى وكتاب الفروع أربع مجلدات . وله كتاب في أصول الفقه والآداب الشرعية الكبرى والوسطى والصغرى .

(يتبع) محمد بهجة البيطار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net